استغلتها القوات اليهودية التي كانت في موقف هجومي لتعزيز قبضتها على المناطق التي كانوا يسيطرون عليها وضم الاراضي العربية التي كانوا يرغبون في ضمها . وفي آذار (مارس) حشد اليهود قواتهم في وجه القوات المصرية والاردنية في النقب في الوقت الذي كان بانش ينتظر في رودس بدء مفاوضات السلام . وابلغه جلوب باشا ، قائد الجيش العربي في الاردن آنذاك ان قواته تعرضت للهجوم ، فطلب اليه بانش مزيدا من التفاصيل ، فبعث بها اليه جلوب ، ولكن بانش طلب المزيد ، ورد جلوب من جديد ، ومن جديد طلب بانش المزيد من التفاصيل ، وظل يماطل الى ان بلغت القوات الاسرائيلية ايلات منهية بذلك حملة النقب . وبهذه المماطلة حال بانش دون تدخل الامم المتحدة ، ولو لفظيا ، في الحملة الصهيونية لضم النقب الى الدولة الصهيونية ، وفي الحقيقة فان بانش ، الى حد ما ، قدم النقب هبة لاسرائيل.

وفي العام ١٩٦٧ اصبح بانش مساعد السكرتير العام للشؤون السياسية ، وفي أيار (مايو) ١٩٦٧ عندما طلب الرئيس عبدالناصر من او ثانت سحب قوات الطوارىء الدولية من قطاع غزة وسيناء ، ابلغ بانش او ثانت ان الرئيس المصري يقوم بخدعة، واشار على السكرتير العام ان يتخذ موقفا متصلبا ضد مصر . وقد انتقد المصريون هذا الخط المتشدد والذي نصح به بانش ، ولا يزالون يصرون على ان الرئيس عبد الناصر كان في الحقيقة على استعداد للوصول الى اتفاق بشأن اعادة توزيع قوات الطوارىء الدولية بشكل كان من الممكن ان يمنع وقوع مجابهة بين القوات المصرية والاسرائيلية ادت الى الجولة الثانية من اجل فلسطين في حزيران .

وفي مناسبات عدة اعرب الدكتور بانش كتابة عن تعاطفه مع الصهيونيين واعجابه بالجهود التي كان يبذلها الدكتور حاييم وايزمن لتأمين انشاء وطن قومي لليهود . وكغيره من الليبراليين في الغرب كان يتحدث عن معاداة الصهيونية وكأنها معاداة السامية . ووقف الى جانب اليهود في نضالهم ضد التمييز العنصري والاضطهاد ، ولكنه ، واعجبا ، لم يستطع ان يكتشف ان الدولة الصهيونية بطبيعتها عنصرية على اعتبار انها استثنت الشعب الفلسطيني من مواطنيتها ، واعار بانش اهتماما كبيرا كما تأثر عاطفيا باضطهاد اليهود في اوروبة والزنوج في اميركة وبتحاملات الاميركيين البيض المسيحيين ضد الزنوج واليهود، ولكن طرد شعب بكامله على يد شعب اخر ، اي طرد اليهود للفلسطينيين ، كان بالنسبة له ليس قمعا عنصريا بل « المصير اليهودي » .

ومع ان الدول العربية كانت تدرك جيدا دور بانش خلال معركة النقب ، ومع ان الديبلوماسيين العرب اعربوا خلال السنوات الماضية عن شكوكهم بالنسبة لصلاحية بانش للمناصب العالية التي احتلها في سكرتارية الامم المتحدة ، لم يجرؤ احد من هؤلاء على الوقوف بوجهه أو توجيه انتقاد رسمي لسياسته : ولو كان بانش اميركيا ابيض، كان يمكن ان تظهر الدول العربية عدم ثقتها به ، ولكن ما حدث هو انه بالنسبة للدول العربية التي كان لديها كل الحق في الاحتجاج ضد ترقية بانش المستمرة ان حال اللون ضد اية معارضة ، وكان ذلك في الحقيقة نوعا من التمييز العنصري المعكوس . وهنا لا بد من التذكير ان عدم توجيه النقد لاي فرد على اساس من لون بشرته او المجموعة البشرية التي ينتمي اليها يشكل تحاملا بالمقدار ذاته كالانتقاد الذي يوجه في غير مكانه .

من كل هذا ، ارى ان هذه التجربة مع الدكتور بانش قمينة بأن تعلم العرب ، والفلسطينيين على وجه التحديد ، درسا هاما في السياسة العرقية، وهو ان لون البشرة ليس دليلا على التحالف السياسي ، وان الاميركيين السود ليسوا كلهم اصدقاء لقضايا العالم الثالث ، وفي الحقيقة فان منظمات عدة من الاميركيين السود ، بما في ذلك المنظمات الراديكالية ، معجبة بالصهيونيين ، وتحاول ان تسير على هدى خطاهم عند حلها لقضاياها العرقية الخاصة . ولاكتشاف ذلك ليس علينا الا الرجوع الى مجموعة المقالات الاخيرة (١٩٦٨) التي كتبها ايلدريج كليفر .

مايكل جانسن